دلالات الاستقراء في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

أولا: دلالات الاستقراء في القرآن الكريم:

ثمة دلالات كثيرة في القرآن الكريم تحض العقول على التفكير والتأمل بصورة تستغرق الأدلة ودلالاتها، وتفيد التتبع لتكوين الأشياء، وتفحص طبيعتها، ومتابعة مآلاتها، والوقوف على مقاصد خلقها، ومظاهر تسخيرها للإنسان، في معرض الاستدلال على وجود الله تعالى ووحدانيته وإفراده بالتدبير والتصريف والتيسير لآيات تكون الظاهرة الباهرة إثباتا لحقائق الكون الكبرى وتفقه أسراره وآياته، وأوجه إعجاز الخلق الإلهي، بالإضافة إلى فقه آيات الله تعالى الإنسانية، واعتبار استقرائها دليلا يضاف إلى هذا الدليل الكوني، إنه تتبع واستقصاء صور الإعجاز في الإنسان والكون المنظور والكتاب المسطور (القرآن الكريم).

ومن صور ودلالات هذا المنهج في القرآن الكريم ما يلي:

١- قول الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

٢- وقوله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٢).

---

(١) يونس: ١٠١.

(٢) الذاريات: ٢٠، ٢١.

٣- وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ (١).

٤- وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧ ﴾ (٢)

ففي الآيات الكريمة شارات استقراء لعدد من القضايا منها الخلق والرسالة والمآل والمصير المحتوم بالتأمل والنظر المباشر في آيات الخلق المذيلة ودلالاتها المتعلقة بالخلق بنوعيه: الخلق الكوني، والإنساني، وبقياس الغائب على الشاهد في القضايا الغيبية النسبية لاسيما المآل والمصير والجزاء، وكلها شارات استقصائية تدعم اليقين الدعوي في معرض إثبات قضايا الدعوة والرد على المعاندين والمخالفين ومنكري البعث... إنها آيات تنتظم في عقد متصود لإثبات آيات صلاحية القدرة الإلهية وإثبات تفرد الله تعالى بالوحدانية ومطلق التصريف والتدبير والإرادة والمشيئة.

---

(١) الطارق: ٥ - ٧.

(٢) الحج: ٥ - ٧.

ثانيا: الاستقراء في السنة الشريفة.

من صور الاستقراء في السنة الشريفة ما يلي:

١- ورد عن النبي (ﷺ) عن رب العزة (ﷻ): « **إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا** »(١).

٢- وورد عن النبي (ﷺ): « **ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء** »(٢).

ففي الحديثين الشريفين الحض على استقصاء الفطرة الدينية في النفس الإنسانية وتتبع دلالاتها وبقائها سنة فطرية لم ولن تتخلف في عصر من العصور، ولا في أمة من الأمم، فضلاً عن ذلك ففيهما الحض على استقراء معوقات الفطرة التي تشوب فطرة الإنسان الدينية ونزوعه الفطري إلى التدين الصحيح.

٣- ما روي عن رسول الله (ﷺ): « **تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك** »(٣).

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي حـ ١٧ ص ١٩٧، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار.

(٢) صحيح البخاري من فتح الباري حـ ٣ ص ٢١٩، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وصحيح مسلم بشرح النووي حـ١٦ ص ٢٠٧، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

(٣) صحيح البخاري من فتح الباري حـ ٩ ص ١٣٥، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين وصحيح مسلم بشرح النووي حـ ١٠ ص ٥١، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين.

٤- وما روي عنه (ﷺ): « **لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن يطغيهن، كن تزوجوهن على الدين، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل** »[١].

ففي الحديث الأول (رقم ٣) استقراء لتنازع الرجال في الزواج واختلاف صور اختيارهم للزوجة، وهو إحالة إلى واقع منظور لاستنطاقه بهذه الصور في إطار الاستغراق والاستقصاء لصور المنازع التي لم يزل منها إلا منزع الذين كنزوع فطري إلى الاستقامة والرشاد والأمن والاستقرار.

وفي الحديث الثاني (رقم ٤) استقراء لصور النهي عن زواج غير ذات الدين لما فيها من مفسدة عاجلة أو آجلة للحياة الزوجية، وفيه أيضا إحالة إلى واقع المفاسد التي تطرأ على الحياة الزوجية بسبب سوء اختيار الزوجة وقلة فطنة الرجال في الارتباط بمن تلك صفاتهن. حفظنا الله وإياكم وأولادنا من مفاسد الحياة ومنازع السوء.

٥- ما روي عن رسول الله (ﷺ): «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[٢] في الصلاة.

٦- وما روي عنه (ﷺ): « **خذوا عني مناسككم** »[٣]،[٤] في الحج.

وفي كلا الحديثين الشريفين أمر بالتتبع والاستقصاء والملاحظة والمشاهدة لأفعال الرسول (ﷺ) وهيأته في أداء مناسك العبادات وتطبيقها.

---

(١) سنن ابن ماجة جـ ١ ص ٥٩٩، كتاب النكاح، باب تزويج ذات الدين.

(٢) صحيح ابن حبان جـ ٤ ص ٤٩١، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: أولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٣) السنن الكبرى، للبيهقي، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا جـ ٥ ص ٢٠٤، رقم (٩٥٢٥) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط: ٣/ ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٤) راجع مناهج الدعوة رؤية منهجية تأصيلية، د/ عبد المنعم أبو الفتوح، د/ أحمد أبو الفتح ص ٢٢٨ وما بعدها، وراجع السنة مصدرا للمعرفة، د/ يوسف القرضاوي ص ١٨٩.

المبحث الثاني

خصائص منهج الدعوة الاستقرائي

هناك العديد من خصائص منهج الدعوة الاستدلالي أهمها ما يلي:

١- الجمع بين مساري المعرفة الرأسي و الأفقي.

٢- المعرفة التصاعدية.

٣- الجمع بين مساري المعرفة النظري و العملي.

وسنوضح هذا بمشيئة الله تعالى فيما يلي:

أولا: الجمع بين مساري المعرفة الرأسي والأفقي، الأمر الذي يؤدي إلى سعة الأفق المعرفية وعمقها، وهو ما يطلق عليه (شمولية المعرفة ودقتها) بمعنى أن دراسة القضايا والظواهر الدعوية والفكرية والاجتماعية والنتائج المعرفية المترتبة عليها لا تكتفي بمسح معرفي ظاهري للقضايا والظواهر المحاربة والأصيلة في ميادين العمل الدعوي، وإنما تجمع على صعيد الإطار السطحي الأفقي معطيات معرفية متعددة ومتراصة تدعم آفاق الاستقصاء والتتبع. وتجمع على صعيد الإطار المعرفي الرأسي كثرة من الجزئيات تمثل دوائر معرفية متراصة رأسيا تفضي إلى نتائج معرفية تمتاز بالدقة والعمق... وهذه قيم معرفية تثري الرؤى والتصورات للقضايا والظواهر الدعوية في سائر ميادين الدعوة في إطار العرض والمعالجات وعلى سائر المحاور المعرفية تأصيلا وتحليلا وفهما واستنباطا.

ثانيا: المعرفة التصاعدية: ويعنى بهذه الخصيصة عمق ومتانة البنية المعرفية القاعدية، أي التي تبدأ من القاعدة وتنتهي بالسطح المعرفي لتمثل نموا معرفيا بنائيا متصاعدا في حلقات متتابعة تخدم اليقين الدعوي على محوري الإقناع والاقتناع والتطبيق والاثراء المعرفي والقيمي في إطار الإطروحات الدينية والفكرية، والاستقراء بهذه الخصيصة يمثل – إلى جانب هذا – منظارا معرفيا فائقا في بحار المعرفة الثائرة والمثيرة يمكن القارئ والمدعو من رؤية جواهر القضايا والظواهر على السطح دون توتر معرفي واضطراب فكري... إنه إبصار من العمق لكل نقاط التماس والتلاقح المعرفي على السطح الأفقي – المثير للجدل – في معرض القبول والرفض والإثبات والنفي، والأخذ والرد، ذلك أن المعرفة التصاعدية تمكن الباحث والداعي والمدعو من التدرج المعرفي في إطار تتبع واستقصاء الجزئيات المعرفية حتى ينتهي بهم المطاف بالإبصار المعرفي الكلي الشامل من خلال استنباط النتائج الكلية للقضايا والظواهر الدعوية المثارة للبحث.

ثالثاً: الجمع بين مساري المعرفة النظري والعملي.

لا ريب أن الأصل في الاستقراء أنه قائم على الملاحظة والتجربة والمشاهدة لتفحص الظواهر والبنى التكوينية، والصفات الكونية والإنسانية الحسية من حيث الثبات والتغير والتحول والانتقال والصيرورة والتغاير والتعدد والتنوع والاختلاف بهدف الوصول إلى إثبات قضايا الدعوة والتأمل في أسرار الخلق الكوني والإنساني ومشاهد البقاء والفناء والإمكان والاستحالة في هذا الخلق البديع المتقن المنسوب لله تعالى رب العالمين، وهذه دلالات مستفادة من الآيات القرآنية الكريمة محفزة الذكر في التعلق العملي (الكون المنظور) بمن وما فيه من صنع متقن لله تعالى الواحد.

لكن الاستقراء الدعوي لا ينحصر في هذا الإطار العملي البنائي التكويني الحسي، وإنما يتسع ليشمل إمكانية استقراء أحوال المدعوين من حيث معرفة صفاتهم وتقلباتهم بين الإيمان والكفر، والضلال والهداية، والظلمات والنور، والرشد والغواية، واستقراء أسباب هذه المتقابلات والمتناقضات التي يمثل الإيمان، والهداية والنور، والرشاد فيها أصل الفطرة الإيمانية المركوزة في النفس الإنسانية وصولاً إلى نتائج تفيد اليقين الدعوي وترسيخ الاعتقاد في الله تعالى رباً وخالقاً ومصيراً وإلهاً متفرد بالوجود وتنزهه سبحانه عن الحدوث ومباحثه.

كما يتسع الاستقراء ليشمل استقصاء الأدلة وتتبعها واستدلالها من الكون المنظور لدعم اليقين الدعوي بالمنظور (الغيب المطلق أو النسبي) ويمكن أن يطلق على هذه العملية: « عملية تحويل الدلالات الحسية الظاهرة إلى دلالات معنوية ظاهرة » كما أن الاستقراء يفيد والداعي

والمدعو في معرفة وفقه فضائل الدعوة، وقد كان هذا مقصداً من مقاصد القرآن الكريم في إثارة النظر لدراسة أحوال الأمم السابقة التي ورد ذكرها فيه، واستقراء مواقفها من الدعوة وأحوالها من الطاعة والمعصية.

وقد طبق الأصوليون والفقهاء والمفسرون وشراح السنة الشريفة وغيرهم من علماء المسلمين هذا المنهج في الاستدلال الفقهي على إنشاء الحكم وفهم آيات القرآن الكريم والسنة الشريفة، وقد كان لهذا المنهج فوائد عظيمة أفادت اليقين المعرفي.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- المرشد السليم، د/ عوض الله حجازي - دار الطباعة المحمدية - درب الأتراك - القاهرة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٣- مناهج البحث العلمي أسس وأساليب، د/ عمار بوحوش، ود/ محمد الذنيبات.

٤- منهج الدعوة رؤية منهجية تأصيلية، د/ عبد المنعم أبو شعيشع، ود/ أحمد أبو شنب ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٥- صحيح مسلم بشرح النووي - دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ثانية ١٣٩٢ هـ.

٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه/ محمد فؤاد عبد الباقي، إشراف محب الدين الخطيب - دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩ هـ.

٧- سنن ابن ماجة، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي - بدون تاريخ.

٨- صحيح ابن حبان، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: أولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٩- السنن الكبرى للإمام البيهقي، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط: ثالثة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٠- السنة مصدرا للمعرفة والحضارة، د/ يوسف القرضاوي - دار الشروق - القاهرة، ط: ٣/ ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

١١- معالم التنزيل في تفسير القرآن للإمام البغوي، تحقيق/ عبد الرزاق المهدي - دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: أولى ١٤٢٠.

١٢- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق/ صدقي محمد جميل - دار الفكر - بيروت، ط: ١٤٢٠ هـ.

١٣- مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي - دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الثالثة ١٤٢٠ هـ.

١٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام الآلوسي، تحقيق/ علي عبد الباري عطية - دار الكتب العلمية - بيروت، ط: أولى ١٤١٥ هـ.

١٥- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د/ محمد سيد أحمد طنطاوي - دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - الفجالة - القاهرة، ط: أولى ١٩٩٨ م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
المبحث الأول: قواعد منهج الدعوة الاستقرائي وخصائصه	٥
المطلب الأول: قواعد منهج الدعوة الاستقرائي	٥
أولا: الاستقراء التام والناقص	٥
١- تعريف الاستقراء التام	٥
٢- تعريف الاستقراء الناقص	٦
قواعد منهج الدعوة الاستقرائي	١٤
أ- الاستقصاء الدلالي	١٤
ب- التأمل والنظر	١٤
ج- القياسات والمطابقات والتثبت	١٥
د- النقد الدلالي	١٥
١- النقد الخارجي	١٦
٢- النقد الداخلي	١٦
هـ- الاستنباط	١٦

دلالات الاستقراء في القرآن الكريم و السنة و الشريعة	١٧
أولا: دلالات الاستقراء في القرآن الكريم	١٧
ثانيا: الاستقراء في السنة الشريفة	١٩
المبحث الثاني: خصائص منهج الدعوة الاستقرائي	٢١
أولا: الجمع بين مساري المعرفة الرأسي و الأفقي	٢١
ثانيا: المعرفة التصاعدية	٢٢
ثالثا: الجمع بين مساري المعرفة النظري العملي	٢٣
فهرس المصادر والمراجع	٢٥
فهرس الموضوعات	٢٧